

وثائقي سوداني يتوج بذهبية قرطاج السينمائي

صهيب قاسم البري: إنجاز فيلم «الحديث عن الأشجار» انتصار على الدكتاتورية والبيروقراطية



حديث عن صانعي الفن والسينما والجمال وسط الدمار

قبول الفيلم، رغم علمي أن أحد موظفي الأمن العاملين في التلفزيون السوداني كان ينوي قتلي، لكن التغطية الإعلامية الكبيرة للفيلم شكلت نوعاً من الحماية بالنسبة لي، خصوصاً بعد تتويجه بجائزة في برلين، رغم أنني حينها صعدت المنصة ووجهت خطاباً للثورة السودانية وقصيدة.

ويضيف صهيب قاسم البري "حين عودتي إلى الخرطوم كنت وأبطال العمل نتوقع سيناريوهات كثيرة لاعتقالنا، وكنا نضحك خوفاً، وعندما وصلنا إلى المطار قال لنا إبراهيم ضاحكاً لا تمسوا سوبيا كما (أفيس) الفيلم، لكن لحظة وصولنا قابلتها بسالة وجسارة السودانيّين، وخاصة بعد الفيديو الذي انتشر لنا في السودان، وهذا يؤكد رغبة الشعب في استعادة الكرامة والانتصار للحرية ولو بشكل رمزي، وأن الحكومة وصلت إلى درجة فقدت فيها أي نوع من الكونترول أو الرقابة بسبب الاضطراب الداخلي، وخصوصاً بعد أن باتت السجون تفيض بالمساجين".

السودان، بل أيضاً بسبب دكتاتورية رأس المال، فنحن كمخرجين حين تصور الفيلم الوثائقي نكون بمفردنا دون وجود أي تمويل، نخاطر ونُدفع من جيوبنا، وبعد أن نعمل مع شركات الإنتاج نخرج بمرارة من التجربة، خاصة كونها تضخم من نفسها على حساب مبدع الفيلم، وإلى اليوم ما زالت لدي بعض النزاعات مع شركات الإنتاج إلى درجة أنني لا أمك رابطاً إلكترونياً للفيلم، وأفكر لاحقاً في أن أعمل واحداً بمفردتي".

من المحلية إلى العالمية

شارك فيلم "الحديث عن الأشجار" في مهرجان برلين السينمائي الذي يعتبر واحداً من أهم المهرجانات في العالم، وحصل فيه على جوائز، عن ردة فعل السودان حكومة حول التتويج وهل تعرّض الفيلم وطاقيه لأي مضايقات حين العودة إلى السودان، يقول المخرج "بطبيعة الحال كانوا مُجبرين على

هام، فكيف استطاع تحقيق ذلك، وعن ذلك يقول "في البداية وجدت صعوبة كبيرة في الحصول على تمويل، وخاصة من السودان على اعتبار أنه لا يوجد أي إنتاج أو مساعدة على الإنتاج، بل على العكس من ذلك تماماً، فالعراقيل هي سيّدة الموقف، إذ أنني كنت أصور دون وجود تصاريح وبشكل سري، ولو طلبت تصريحاً لتوقف الفيلم مباشرة، بالتالي جزء كبير من الفيلم صورته بنفسياً".

ويضيف "حاولت خلق سيناريوهات وهمية لأتمكن من التصوير، وحصلت على التمويل فعلياً بعد أن كتبت السيناريو الأوّلي للفيلم، وكان أول دعم أحصل عليه من مهرجان أبوظبي السينمائي، وهو التمويل الذي من خلاله اقتنيت معدات التصوير، ثم في فترة لاحقة دعمتني شركة AGAT FILM، وهي شركة إنتاج فرنسية، ومع بداية التصوير بدأ الفيلم يحصل على فرص تمويل كثيرة، لكنها كانت تجربة قاسية ليس فقط بسبب الدكتاتورية في

يحصل نوع من النزاع الداخلي في قلب الفنان حول الشرعية الأخلاقية وكيفية الحديث عن الفن أو السينما أو الجمال وسط هذا الدمار، ويزداد هذا التنازع ويصبح أكبر بكثير حين يكون الفنان قادماً من السودان، فبعد كل هذا الخراب الذي وصل إلى حد تدمير حتى الإنتاج الزراعي الغني والدفع بالعثرات للنزوح إلى المدن، علاوة على المهاجرين بسبب دارفور وجنوب السودان، كل ذلك وعبر سنوات طويلة اغتال كرامة المواطن السوداني بشكل يومي.

ويضيف "كما أن هناك نوعاً آخر من التنازع يعيشه الفنان السوداني وخاصة من سبقوني، ما بين الرضوخ والتنازل لأتمكن من إنتاج فيلمي، أو أن اختار الطرق الوعرة التي اختارها من سبقوني والتي من خلالها قُدمت أفلام جميلة ومهمة في المحتوى رغم رمزيتها الكبيرة".

ورغم محلية فيلم "الحديث عن الأشجار" استطاع مخرجه صهيب قاسم البري أن يحصل على تمويل خارجي

توجت أيام قرطاج السينمائية في دورتها الثلاثين التي اختتمت، السبت، الفيلم السوداني الوثائقي الطويل "الحديث عن الأشجار" بالجائزة الذهبية، وهو فيلم من إخراج صهيب قاسم البري، وتأتي أهمية العمل بالدرجة الأولى من كونه فيلماً قادماً من السودان، وتأتي لأنه ينشئ ويبحث في الذاكرة البصرية للسودان عبر أرشيفها السينمائي من خلال شخصياته الأربع التي كان لها الفضل الكبير في صناعة تلك الأفلام وأرشفتها.

السينمائية تلك، يقول "وجدت صعوبة كبيرة في البحث والنش عن تلك الأفلام وخاصة أفلام وأرشيف سليمان (أحد أبطال فيلمه الأربعة)، لأنه موجود داخل مبنى التلفزيون السوداني، وهو بناء محصن جداً على اعتباره مهدداً دوماً بالاحتلال تحت ضغط أي خلاف يحصل، وأثناء زيارتي المتكررة لمبنى التلفزيون قابلت حراس الأرشيف السينمائي، وكان بنجاسين واحداً منهم، وقد لفت انتباهي بشكل كبير واعتبرته شخصية نادرة، لأنه رجل متفهم جداً سبق وأن عمل لفترة طويلة في الإنتاج السينمائي السوداني، ورغم أن الجنسية السودانية قد انتزعت منه بين يوم وليلة، وفقد بالتالي مرتبه كموظف بسبب أصوله التي تعود لجنوب السودان، إلا أنه واصل حراسته لذلك الأرشيف".

رمزية العنوان

لأن الأفلام كما الروايات والقصص تُقرأ من عناوينها، فإن عنوان الفيلم "الحديث عن الأشجار" لا يمكن أن يمر مرور الكرام، فمن أين استوحى المخرج هذا العنوان؟ ولماذا؟

وعن سؤال "العرب" يجيب المخرج السوداني "أقتبست العنوان من بيت شعر للكاتب والشاعر الألماني بريخت، بالتحديد من قصيدة بعنوان للذين يأتون من بعدنا" والتي يقول فيها: أي زمن هذا الذي يكاد الحديث فيه عن الأشجار يصبح جريمة، بينما هناك جرائم أكثر هولاً، كما أن والذي كان يركز نفس العبارة في بداية التسعينات والتي كانت تعرف بسنوات الرصاص والقمع والقتل، حيث كنا نعيش حالة من الإحباط الشديد، خاصة بعد أن فصل والدي ومعظم أفراد العائلة من العمل، واعتقل صديق لي كان يعمل طبيباً ومات تحت التعذيب، بالإضافة إلى أن منار أحد أبطال الفيلم والذي تعود مرجعيته إلى الأدب، ذكر في الفيلم نفس العبارة وكّرّها".

كل ذلك أشعر المخرج السوداني بأهمية تلك العبارة وما تحملته من رمزية، فالحديث عن الأشجار هو حديث عن الجمال والفن والأزمة القاسية، لكن في ظل الفاشية والقمع والموت

لمى طيارة
كاتبة سورية



تونس - رغم ارتباط معظم أفلام السينما الوثائقية وخاصة العربية منها في ذهن المشاهد بطابع الحزن والبؤس، يبرز فيلم "الحديث عن الأشجار" كفيلم سوداني خفيف الظل يحمل مضموناً جديراً بالاهتمام والتوقف عنده، ويحكي عن التاريخ المزهّر للسودان الذي كان يشع ثقافة وحضارة. صحيح أن التجربة في حد ذاتها لم تكن سهلة واحتاج المخرج صهيب قاسم البري إلى روح المغامرة والكثير من الحيل لإنجازها وسط بيروقراطية وقوانين قاتلة تحكم السودان، إلا أن روح العافية التي تتملكه وحيلته الواسعة وصبره الذي نخلّمسه في شخصيته حين التقته "العرب" بتونس، إنتر تتويجه بالتانيت الذهبي لأيام قرطاج السينمائية ضمن مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة، ما يؤكد تمكنه من إنجاز فيلم بهذا الجمال وتلك الحساسية.

صهيب قاسم البري
كنت أصور بشكل سري، فلو طلبت تصريحاً لمنع الفيلم



لكن كيف أتت فكرة الفيلم؟ وكيف علم المخرج بالأرشيف السينمائي السوداني؟ يقول صهيب قاسم البري في حوار مع "العرب"، "كنت أعرف مسبقاً بوجود هذا الكم الكبير من الأرشيف السينمائي السوداني، فهناك ما يقارب 13 ألف فيلم تسجيلي كانت في معظمها من الإنتاجات الرسمية للدولة، إلا أنه ومع محاولة حكومة البشير والإسلاميين محو الذاكرة السودانية تماماً، تعرّضت تلك الأفلام إلى إهمال كبير جداً، ووضعت في مكان سيء وتحت ظروف لا يمكن بأي حال من الأحوال تجميع أرشيف سينمائي وطني فيها".

وعن كيفية النش في أرشيف سينمائي في دولة تحكمها البيروقراطية، ومدى حجم الصعوبات التي واجهت المخرج صهيب قاسم البري أثناء رحلته

القاهرة السينمائي يمنح منة شلبي جائزة التميز

أحصل على دعوة لحضور افتتاح مهرجان القاهرة السينمائي يكتب عليها اسمي".



منة شلبي

«أعترز كثيراً بهذا التكريم وأشعر بالفخر أن هذه الجائزة الكبيرة تحمل اسم الفنانة الاستثنائية فائقة حمامة»

وأضافت "ربما يكشف ذلك عن حجم سعادتني وفخري بتلقي دعوة من نفس المهرجان بعد 20 سنة سينما يكتب عليها المكرمة منة شلبي، ويزيد من سعادة قلبي والإحساس بالفخر أن هذه الجائزة الكبيرة تحمل اسم الفنانة الاستثنائية فائقة حمامة".

القاهرة - أعلن مهرجان القاهرة السينمائي الدولي منح جائزة فائقة حمامة للتميز هذا العام للممثلة المصرية منة شلبي "تقديرًا لمسيرتها الفنية الحافلة بأعمال سينمائية متميزة".

ويمنح المهرجان الأعرق مصرياً وعربياً هذه الجائزة كل عام إلى أحد الفنانين الشبان، بينما يقدم جائزة أخرى تقديرية لكبار الفنانين وصناع السينما.

وقال رئيس المهرجان محمد حفظي إن منة شلبي "تميزت بانتقاء أدوارها والجرأة في طرق الأبواب غير المعتادة لتصبح في زمن قياسي واحدة من أهم ممثلات جيلها".

وأضاف "قد يناقشها في النجومية عدد من بنات جيلها، لكنها في حب السينما اختارت أن تكون أكثر إخلاصاً وتمسكاً، وبالتالي كانت السينما أيضاً أكثر تمسكاً بها، فاستحققت أن تكون المكرمة بجائزة التميز في افتتاح الدورة الحادية والأربعين".

ويقيم المهرجان في الفترة من 20 إلى 29 نوفمبر الجاري بمشاركة نحو 150 فيلماً من 63 دولة من بينها المكسيك "ضيف الشرف".

من جانبها، أبدت منة شلبي (37 عاماً) اعتزازها بهذا التكريم قائلة "عندما كنت ممثلة جديدة تمنيت أن

باللونين الأبيض والأسود لـ"شمكارين" صبية غارقين في الضحك، الذي يصفه الفنان برد فعل منهم على قدرهم المعيشي النابع من أسرهم المفككة بالعمالة، حيث لفظتهم ظروفهم إلى الشارع فأصبحوا ضحايا هامشيين منزعجين ومزعجين وسط طنجة وعلى هامشها.

عدسة الفوتوغرافي الفرنسي ستيفان مودينا تحقق بعضاً من غايات الروائي المغربي الراحل محمد شكري في «الخبز الحافي»

لكن ستيفان الذي وصل إلى مدينة طنجة في الأسابيع الأولى لميلاده عام 1986، وطاب له المقام فيها حتى الآن، أبى إلا أن يجعل من قضية "الشمكار" قضية إنسانية فنية، يُعبر عنها بالصورة التي يصفها بـ"الصورة التي تغني عن ألف كلمة"، نظراً لحمولتها التعبيرية الناقلة للحظة طفل "شمكار"، مهتمش، وهو يضحك لنسيان همة، طالباً الغفران عن ذنب لم يرتكبه في مجتمع يتجاذبه بين من يفره ومن يعطف عليه.

ستيفان مودينا يلامس عبر الصور الفوتوغرافية معاناة الطفل «الشمكار» بالمغرب

وينطلق المصور ستيفان مودينا في عمله الفوتوغرافي حول موضوع "الطفل الشمكار"، من منطلق منهجي في التفكير والرسم الإبداعي للورتريه بالعسة، مؤكداً في تصريح لـ"العرب"، "ليس في الناس من اختار قدره، لكن لكل منا حظه وقدره"، مستشهداً بالكايت المغربي ذائع الصيت، محمد شكري، الذي كان كلما دخل المطعم الطنجاي الذي اختار له صاحبه السيد الطاغي اسم رواية شكري الشهيرة "الخبز الحافي"، إلا وردت قولته "قدري هذا الذي لم اختره، وإن كانت لديك القدرة على اختيار غيره فاعطني إياه".

وعلى هذا الأساس من التفكير الإنساني الذي يحمل طاقته ستيفان مودينا، وجدت "العرب" وهي تتجول في معرضه "الطفولة أمام المرأة" أن تغيير القدر والحظ اللذين كانا مطلباً رومانسياً لدى الروائي المغربي الراحل محمد شكري (1935 - 2003) في روايته الأخيرة، هو مطلب التغيير ذاته المرغوب من لدن الفوتوغرافي الفرنسي الذي غاص بعدسة مصوره في ملامح الطفل "الشمكار" باحثاً عن تجليات وبراءة الطفولة المهملة في الشارع بطريقة تصوير فنية، تكاد تنطق.

ويلاحظ المطلع على أعمال المصور ستيفان مودينا، أنها صور للوحات التقطت من زمن بدايات التصوير

يحاول المصور الفرنسي ستيفان مودينا أن يجعل من طفولة من يُعْت في المغرب بـ"شمكار"، أي متشرد، مجالاً خصياً للإبداع التصويري الذي يجلي، كما المرأة، انعكاس الصورة الطفولية البريئة بلا الوان، لذلك اختار الفوتوغرافي مودينا عنوان "الطفولة أمام المرأة" لمعرضه الحالي بقاعة العرض "كانت" بطنجة، شمال المغرب.



براءة مهمل في الشارع

يوسف حمادي
كاتب مغربي



الرباط - الطفل هو مؤسس بدايات الحياة البيولوجية للإنسان الكبير، تلك الصفحة التي وصفها العلماء المتخصصون، وضمنهم سيغمون فرويد، بالصفحة البيضاء التي يكتب عليها الكبار ما يشاؤون، ولذلك